الجذور الفكرية للزهّاوي

طالب دكتوراه اللغة العربية وآدابها احمد صئوبر
الأستاذ المساعد الدكتور
صادق ابراهيمي كاوري
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الإسلاميّة آبادان ـ كليه العلوم الانسانية
Ebrahimi.kavari2006@gmail.com

الملخص:

إختلف عصرنا عن باقي العصور في كيفية الوصول إلى المصادر والمآخذ من حيث السهولة و هذا من ثمار النهضة المعاصرة التي بدأت بنشر المطابع والمكاتب والصُّحف فهي مهَّدت للفرد التّعرفَ على الأعمال المختلفة وآراء المفكرين: القدامى منهم والمعاصرين، فالأدباء تأثَّروا بالمظاهر الجديدة وراحوا ينهجون المنهج الصّحيح في إحياء الأدب العربي المعاصر فنجد الزّهاوي(١٢٨٠-١٣٥٥ق) وهو موضوع عملنا قد أنهل صدره من الثّقافات والآداب العربية والفارسية والغربية وذلك بفضل تلك النهضة، فتأثَّر بالثَّقافات المختلفة وخلَّف آثاراً تدلُّنا على ذلك التاثير فبعد تقصّي أشعار الزّهاوي وجدنا له أفكاراً متشعبة يمكن حصرها في آثاره المتأثَّرة بآراء المفكرين و العلماء الغربيين مثل داروين(١٨٥٦-١٩٣٩مـ) وأشعاره حول المرأة متأثَّرةً بقاسم أمين(١٢٨٢-١٣٢٦ق) ورباعياته المتأثَّرة بالخيام(٤٣٩-٥٢٠قـ) وآثاره ألثّورية ألمتأثَّرة بأبي العلاء(٣٦٣-٤٤٩ق) ووجدنا نوع من التقلُّب والحيرة في آراء المفكرين والباحثين حول الزّهاوي المتأثَّرة بكثرة موارده الفكرية وجذورها فنحن بصدد الكشف عن أهمِّ المصادر التي أثّرت على فكر الزّهاوي المتجلِّية في أشعاره في هذه الورقة البحثية.

الكلمات الرئيسة: الزّهاوي، الجذور الفكرية، الخيام، ابوالعلاء المعرّي، داروين، قاسم أمين.

المقدمة:

شغل جميل صدقي الزّهاوي الصدارة في تاريخ أدبنا المعاصر ولفت النُّقاد والباحثين والدارسين كثيراً فأصدروا كتباً و مقالاتٍ وجعلوا فصولاً مليئةً للبحث حول حياته وتحليل

أدبه و إجتمعت الآراء كلها في أمرٍ واحدٍ ألا وهو عدم الوصول إلى فكرهٍ خاصةٍ وموحدةٍ حول الرؤية الكلية للزهاوي ولعلّ هذا التضارب يرجع إلى كثرة انتاج الزّهاوي وتنوعه وشموله من الشعر والفلسفة والفلك والطبيعيات التي الّف فيها و أبدي آرائه وجادل رجالها و باحث أقطابها، فالزّهاوي كثير الطموح لا ترضي نفسه بالسكون و الوقوف في جانبٍ واحدٍ بل غذّي ضميره العَطش من مواردَ فكريه مختلفه قدّمتها الحركة العلمية والفكرية والأدبية المعاصرة له فتأثّر مثلاً من الحركة العلمية التي بدأت بالغرب وتأثّر بكبار علماء النفس والاطباء انذاك ألا وهو داروين وأدخل أفكاره حول أصل الانسان وتكامله وصراعه من أجل البقاء و غيرها من الخطوط البارزة في أشعاره وأيضاً تأثّر بقاسم أمين الذي مزج الحرية الغربية والاصول الاسلامية مستعيناً بأفكار جمال الدين(١٢٥٤-١٣١٥ق) فتأثّر الزّهاوي بتلك الآراء الداعية إلى حرية المرأة و حقوقها و أدخل تلك الأفكار في أشعاره و تأثّر ايضاً بالأدب الفارسي و الخيام و لاسيما رباعياته و ذلك بعد التّعرف على اللغة الفارسية و أسرارها فعرّب تلك الرباعيات و أدخل الأفكار الخيامية التي نالت الإهتمام الخاص في عصرنا الراهن والتي تشمل بنوداً مختلفةً جديرةً بالبحث والنظر وأيضاً تأثّر بأبي العلاء صاحب "رسالة الغفران" و صنّف قصيدته المسماة "ثورة في الجحيم" وأبدي آرائه في تلك القصيدة العصماء حول قضايا هامة كانت تشغل باله.

إذن صار الزّهاوي خليطاً عجيباً شاغلاً النُّقاد للكشف عن موارده الفكرية والمدرسة الفكرية والفلسفية، فنحن في هذا العمل نريد تبيين أهم الموارد والمصادر الاصلية الموثّرة في شعر الزّهاوي ونحاول أن نُجيب من خلالها على الاسئله التالية:

- ما الأشعار التي انشدها الزّهاوي متأثّراً بنظرية داروين حول التكامل و أصل الانسان و الصراع من أجل البقاء.
- كيف ظهر تأثّر الزّهاوي بقاسم أمين في أشعاره حول المراة.
- ما البنود الفكرية التي إمتلكها الزّهاوي متأثّراً برباعيات الخيام.
- كيف يعارض الزّهاوي أبا العلاء في قصيدته "ثورة في الجحيم" وما آراء الزّهاوي المطروحة في تلك القصيدة.

وفي الخاتمة نجيب على هذه الاسئلة:

- هل يتابع الزّهاوي مدرسة فكرية - فلسفية خاصة طيلة حياته، أم هومتأرجح بين الآراء و يدخل هذه الآراء في أشعاره فقط.

منهج البحث:

هذا المقال يدرس الأبحاث المذكورة على اساس الطريق النقلي التحليلي.

بيان الموضوع:

نحن في هذا العمل بصدد التبيين عن الجذور الفكرية المختلفة للزهاوي وتنوعها وكيفية تاثير تلك الأفكار وظهورها في أدب الزّهاوي مع اختلاف زمانها ومكانها في فترات مختلفة من حياة الزّهاوي خلال تعرفه على العلوم والآداب والثّقافات المختلفة مع تناقضها بعضها ببعض وأيضاً نبين العامل الذي اثّر أكثر فأكثر في أعماله الأدبية الشعرية و هناك نقطة هامة لابد من الاشارة اليها؛ وهي ان الواقع حول الترتيب الزمني لأعمال الزّهاوي بما انه كان يجيد اللغة الفارسية قبل كل شيء وبدأ بتعريب رباعيات الخيام فكان هذا العمل أول نشاطاته الأدبية واهدي تلك الرباعيات إلى الملك فيصل طمعاً في تحقيق حلمه و هو الحصول على مكانة راقية في الملك و المجتمع، فبعد ما خاب ظنه من ذلك رفع راية التمرد فاضطر إلى اللجوء إلى الفلسفة و الثورية الجديدة منها،و آرائه حول تحرير و انطباعاته الجديدة من آراء المعرّي (انظر:الرشودي،١٩٦٢:ص ٤٠٧) لكننا في هذا العمل نبدا بصلة الزّهاوي مع داروين اولاً نظراً لفكرة الزّهاوي المتجددة اذ كان يفضّل الجديد من كل شيء فوجدنا ان نظريات داروين أكثر جدةً بالنسبة لباقي المصادر الفكرية للزهاوي والثاني انه كان يشكك في كلّ شيء و كان يقلب المعايير الفكرية لمخاطبيه فوجدنا ان تلك النظرية هي الانسب لمفاجاة المخاطب بالنسبة لباقي المصادر و في النهاية نصل إلى الخليط الفكري - الفلسفي الذي تمكن من ايجاده و ايراده في آثاره؛ فهل هو صاحب مكتب فلسفي خاص؟ ام هو شاعر أدخل بعض الأفكار الفلسفية حسب استيعابه لتلك الأفكار؟ ومن ثَمَّ ذوقه الشعري وتفنّنه في إيراد الآراء الجديدة المطروحة على الساحة الثقافية المعاصرة له فيواكب المتغيرات بهذه الصورة الجميلة.

أهمية الموضوع:

نظراً إلى مكانة الزّهاوي في الأدب العربي المعاصر واعماله الكثيرة والضّبابية الهائلة بفكره ومورده الفلسفي نحاول ان نعطي صورة قريبة من الواضحة لأهم المصادر الفكرية التي تأثّر بها وعلماً بأنّ الاعمال التي مضت حول الزّهاوي تدرس بعض تلك النقاط ولا تكتفي بأهمها ففي النهاية يصل القارئ على شاكلة من فكر الزّهاوي.

خلفية البحث:

هناك أعمال كثيرة درست الفكر الزّهاوي من كتبٍ ومقالاتٍ وبحوثٍ جامعيةٍ تشترك كلها في نقطةٍ واحدةٍ ألا و هي عدم الشمول و التوسُّع في فكر الزّهاوي لإعطاء صورة كلية للمشرب الفكري للزهاوي أهمها:

- كتاب "الزّهاوي" لعبد الحميد الرشودي(١٩٦٢مـ) و هو كتاب قيم حول الزّهاوي يجمع آراء المعاصرين للزهاوي و شرح وافي لآثار الزّهاوي جملةً و تفصيلاً.
- كتاب "رباعيات الخيام في ضيافة الأدب العربي" ليوسف حسين بكار(١٣٨٣شـ) الذي يعطيك مدخلاً للتعرف على سيرة الرباعيات عند الأدب العربي المعاصر.
- كتاب "اتجاهات الشعر العربي المعاصر" للدكتور حاتم الساعدي(١٤٢٠قـ) و هو نافع ايضاً للتعرف على المدرسة الشعرية التي ينتمي اليها الزّهاوي.
- هناك مقالات ايضاً تدرس بعض الزوايا المظلمة للفكر الزّهاوي مثل "زن در شعر زهاوي"لشهريار نيازي(١٣٨٦شـ) و"صورة المكان في رسالة الغفران"لزينت عرفت بور(١٤٣٤ق) و غيرها من المقالات.

الزهاوي و تأثره من نظرية التطور لداروين:

لفتت التطورات العلمية في الغرب الانظار اليه بعد ما وصل اليه العلماء و المفكرين في المجالات المختلفة فمن بين العلماء الغربيين الذي نال اهتماماً خاصاً بين المفكرين العرب هو داروين عالم التاريخ الطبيعي و الجيولوجي في بريطانيا القرن الثامن عشر، صاحب نظرية التطور التي تنصُّ على ان الكائنات الحية على مرّ الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة والذي قام باقتراح نظرية تتضمن أن هذه الانماط المتفرعة من عملية التطور ناتجة لعملية وصفها

بالانتقاء (الانتخاب) و كذلك صاحب نظرية الصراع بين القوي و الضعيف من أجل البقاء (انظر:كوامن،٢٠١٢م) فما يكاد داروين يكتب كتابه "أصل الانواع " (١٨٥٩م)و تعرّف عليه العرب حتى كتب شبلي شميل(١٨٦٠-١٩١٧م) كتاب "فلسفه النشوء و الارتقاء"(١٩١٠م) والذي تابع فيه نظرية داروين و نقل تلك الفكرة إلى العالم العربي ثم جاء اسماعيل مظهر(١٨٩١-١٩٦٢م) بترجمة " أصل الانواع" لداروين سنة(١٩١٨م) ثم جاء سلامة موسي(١٨٨٧-١٩٥٨م) و كتب "نظرية التطور و أصل الانسان" (١٩٢٨م) و أخذت حين ذلك مجلة المقتطف لصاحبيها فارس نمر(١٨٥٦-١٩٥١م) و يعقوب صروف(١٨٥٢-١٩٢٧م) أخذت على عاتقها نشر تلك الآراء في العالم العربي، فلهذا الرُّباعي الدّور العظيم في تعرُّف العرب على آراء داروين الثورية.

عند الرجوع إلى الزّهاوي نجد أنّه كان يتأثّر من الحياة الحديثة والتطوّرات العلمية وبالرغم من حبّه للشعر والأدب لكنه كان بطبيعته ميالاً لدراسة قضايا الكون والطبيعة شغوفاً بالقضايا الفلسفية و لذلك لم تكد أعداد مجلة المقتطف تصل بغداد ويطّلع عليها حتى وجد فيها ضالته اذ راح يستوعب جميع ما ينشر فيها من أبحاث في العلم والطبيعة والفلسفة والاجتماع ثم إنه وجد في بعض الكتب العلمية و الفلسفية التي ترجمها كبار كتّاب العرب ما كان الجديد من الأبحاث الحديثة مثل كتاب "شرح بختر على مذهب داروين"(١٨٨٤م) الذي ترجمه و كتب له مقدمة مستفيضة الدكتور شبلي شميل (انظر:الديوان،١٩٧٩:ص و) فتأثّر من داروين و آرائه حول الغرائز الانسانية و الطينة البشرية و الاصل الانساني والتكامل والنضوج التي كان لها صيتاً واسعاً في الميادين الفكرية في الغرب، فنحن لم نجد للزهاوي غيرالمصادر التي ذكرناها و المجلة المذكورة مصدراً لتعرفه على آراء داروين الثورية حتى قال الزّهاوي و هو الموید الاول لنظرية داروين في العراق ((المذهب القوي في رأيي هو مذهب داروين في النشوء و الارتقاء و قد تبعته و لم يتبعه غيري قبلي و قد شاع بسببي في العراق)) (الرشودي،١٩٦٢: ص٢١٦) اما بعد البحث بكل أشعار الزّهاوي التي تحمل تلك الفكرة الداروينية وجدنا العناوين الكلية التي يتابع الزّهاوي فيها من تلك النظرية في أشعاره وهي تشمل:

أصل الإنسان قرد:

إحدى النُّقاط الهامة التي يبينها داروين في نظريته هي أصل الإنسان ونشأته وصلته

بالقرد فاعتقد الزّهاوي بفكرة داروين الثورية وهي ان أصل الانسان يرجع إلى ذلك القرد الغالب المتطوّر الذي يخرج من الغابة بحثاً عن حياةٍ افضلَ و كلُّ ذلك بفضل الشعور الذي حصل عليه القرد بالنسبة إلى أقرانه فأبدي رأيه في بعض أشعاره هكذا:

رجعت إلى الماضي البعيد بفكرتي ... وقلت لغرد الغالب ما لك من قرد

تقلبت في الاصلاب دهرا وبعدها ... نسلت إلى الانسان نادرة الولد

(الديوان:٥٠٦،١٩٦٧)

فهذه الفكرة التي وصل اليها داروين بعد دراساته العلمية كانت للزهاوي بمثابة حلٍ لمشكلة كبيرة تشغل باله لسنين فتلقّاها و أرحب لها صدره وقال ايضاً:

ما نحن الا أقردٍ ... من نسل قردٍ هالك

فخرٌ لنا إرتقاونا ... في سُلّم المدارك

(المصدر نفسه:٦٤٥)

ونرى الزّهاوي قد ينغمس في تلك الفكرة حتى يستعمل اداة "الّا" في أشعاره المتاثّرة من داروين لنفي باقي الآراء حول أصل الانسان مثل المقطع السابق وايضا في هذا المقطع:

ولا تحسب الانسان الّا سلالة ... لغردين عافا الغاب لمّا تضجّرا

ولم يتحسّن طوره لتنازعٍ ... ولكن حياة القرد رامت تطورا

(المصدر نفسه:٦٣٨)

الصراع من اجل البقاء:

النظرية الداروينية تنص على أنّ العالم ساحة للصراع الدائم بين مكوناتها فالحظ للقوي في البقاء و الضعيف أي من لا يمتلك القدرة لصيانة نفسه والتأقلم مع المحيط فمسيره الفناء و يعتقد الزّهاوي بذلك الراي و يقول:

إنّ القوي ليبقي والحياة وغي ... في البر في البحر في الاجواء في الغار

ولا يعيش عزيزاً غير مجتريء ... ولا يموت ذليلا غير خوار

(الديوان،١٩٦٧:ص٦٢٢)

فيعمِّم الزّهاوي تلك الفكرة على الحياة البشرية اذ يرى الحياة حرباً دائماً بين الأقوياء والضُّعفاء والانتصار حتماً يكون للفئة الأقوى:

ما أخال الحياة غير جهادٍ ... طاحنٍ للشعوب والأفراد

ونصيب الضعيف ان يتلقّي ... حتفه في غمار هذا الجهاد

(المصدر نفسه:٣٩٣)

اذن الزّهاوي بطبعه الذي يفضّل الجديد على القديم نجده ممن يستقبلون فكرة داروين في العالم الاسلامي و يروجونها رغم معارضتها للفكره الاسلامية التي تعطي صورة نزيهة من أصل الانسان حيث نجد في القران ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (اعراف/١١) فيجعل الزّهاوي من داروين النموذج ألهام لبناء أفكاره التي ظهرت لنا في أشعاره كثيراً.

الزهاوي وتأثره من قاسم أمين حول المرأة:

تطرَّق الاحيائيون في بداية النهضة الأدبية العربية إلى موضوع المرأة بجد حيث شعروا بهذا الدور المصيري في تلك الفترة و عدّوها من دواعي التطور الاجتماعي فتأثَّر شعراء الإحياء بقاسم أمين الذي أطلق تلك الحركة متأثّرا بموردين: الأول الخلفية الفكرية المحافظة الاسلامية و الثاني الانتاج الفكري الغربي المتجدّد و تمكن قاسم أمين من خلق نوع من الخليط و إصداره و عرضه للعالم العربي التاليه (انظر:نيازي،١٣٨٦ش،١٥٧)

صنّف قاسم أمين في سنة(١٨٩٩مـ) كتاب "حرية المراة" متأثّرا بتعاليم محمد عبده (١٩٠٥-١٨٤٩مـ) حيث أثارت ضجة كبيرة في مصر والدول العربية الأخرى ونشر أمين بعد سنة من اصداره لكتابه الأوّل كتابه المسمّى "المراة الجديدة" وطبّق افكاره القديمة مع الفكر الغربي والحياة الاجتماعية الراهنة(انظر؛نيازي،١٣٨٦ش) فطُبع كتابه في العالم العربي لعدة مرّات وسبّب حركة جديدة في العالم العربي فتشكلت الجبهات المعاندة والمويدة في وجه تلك الفكرة الجديدة من بينهم الشعراء فالبعض منهم ردّ تلك الأفكار ودعا إلى نبذها مثل احمد محرم الذي قال:

أغرك يا اسماء ماظن قاسم ... أقيمي وراء الخدور فالمرء واهم

(الساعدي،١٤٢٠:ص٥٢)

ومن بين الذين وقفوا في الجبهة الموافقة المويدة لتلك الفكرة المطروحة من قبل قاسم أمين هو جميل صدقي الزّهاوي الذي دعا إلى السفور وترك الحجاب وإعطاء الحرية التامة للمرأه العربية و الدعوة إلى جعلها عنصراً اساسياً في المجتمع العربي العراقي فنشر الزّهاوي في العدد (٦١٣٨) لجريدة الموید الاسبوعية القاهرية مقالاً تحت عنوان المراة والدفاع عنها (انظر: الديوان، ١٩٧٩: ص ن) وأثارت الضجّة في المجتمع العراقي على ما جاء فيها من آراء متناقضة لما جاء في الشريعة الاسلامية فقال:

مزّقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا

(ديوان اللباب،٢٢٥)

هذه روية الزّهاوي حول المرأة العربية والعراقية خاصة الملخصة في هذا البيت من ترك الحجاب والسفور والدعوة إلى الحرية والانقلاب والخلاص الاجتماعي فتلاها بهذه الابيات:

إسفري فالحجاب يا إبنه فهرٍ هو داءٌ في الاجتماع وخيم

كلّ شيئ إلى التجديد ماضٍ فلماذا نقرُّ في هذا القديم

انزعيه ومزّقيه فقد انكره العصر ناهضاً والحلوم

(الديوان،١٩٢٨م:ص٢٣٦)

من بين الناقدين من قارن فكر الزّهاوي ورأيه حول مع الشاعر والمفكر الفرنسي شارل فوريه (١٧٧٢م) الذي ضحي عمره للاشتراكية وحقوق الناس عامة والمرأة خاصه فالزّهاوي أراد للنساء كما أراد شارل للمرأه الغربية مطالباً بحقوقها لانها اذا أُصلحت أُصلح المجتمع(الزّهاوي،١٩٦٢م:ص٣١) فطالب الزّهاوي بتساوي حقوق المرأة مع الرجل وقال:

إنما المرأة والمر ء سواءٌ في الجدارة

علّموا المرأة فالمر اة عنوان الحضارة

(المصدر نفسه،ص١٢٦)

فالزّهاوي بطبيعته الشعرية وذكائه الفطري قد شعر بلزوم تعليم المراة وإعطائها حقوقها الواجبة للنيل من التطور والتحضّر.

وبعد تقصّي أشعار الزّهاوي التي انشدها متأثّرا بالحركة الثورية لقاسم أمين الدّاعية إلى إعطاء حقوق النساء قد نجد بنوداً ثلاثةً قد طرح الزّهاوي أفكاره فيها:

البند الاول: حرية المراة و مساواه حقوقها مع الرجل: دافع الزّهاوي في هذا القسم من أشعاره عن المراة و أراد إعطاء حقوق المرأة كما يعطي حقوق الرجل:

اقبح بقوم حقروا ازواجهم والأمهات
إجهل بقومٍ قد رأوا فضل البنين على البنات
ليس الفتي برعاية أولى هناك من البنات

(الديوان، ١٩٨٣م:ص٩٣)

فالفكر الزّهاوي المتحرّر المتجدّد يدعوه إلى هذا الكلام فهو أراد للمرأة الشرقية و العربية كما يراد للمرأة الغربية فكان يعتقد الزّهاوي بان المراة تحتل الدور المصيري الهام في المجتمع فلا تكتمل صورة المجتمع الرّاقي لديه الّا بالمرأة المتحررة:

يرفع الشعب فريقا ن اناث وذكور
وهل الطائر الّا بجناحيه يطير؟

(الديوان:١٩٢٨م:ص١٢٦)

البند الثاني: رايه حول الحجاب والدعوة للسفور: دعى الزّهاوي إلى السفور وترك الحجاب نظراً إلى مكانة المرأة العربية المعاصرة له بحالته الموسفة وأراد لها التخلُّص من الحجاب العائق من الحركة والتقدُّم فجلب لنفسه بذلك الرأي المخالفات والعداوة الشديدة:

مزّقي يا إبنه العراق الحجابا فقد كان حارساً ذابا
مزّقيه واحرقيه بلا ريثٍ مزّقيه حتى يكون هبابا

(المصدر نفسه:٣٣٥)

فيصرّح الزّهاوي فكرته حول نبذ الحجاب وتركه في أشعاره عدة مرّات حيث قال في مكان آخر:

إسفري فالحجاب يا ابنة فهر فهو داء في الاجتماع وخيم

إســـفري فالســـفور للنـــاس صـــبحٌ زاهـــرٌ والحجـــاب ليـــلٌ بهـــيم

(المصدر نفسه:٢٣٦)

البند الثالث:رأي الزّهاوي حول الزواج: ناقش الزّهاوي قضية الزواج في المجتمع ودعى إلى إعطاء الحق للبنت في اختيار الزوج:

وإذا مـــا الـــزواج لم يقترحـــه نظـــر الخـــاطبين فهـــو عقـــيم

والـــزواج الـــذي يـــتمُّ علـــى غيـــبٍ مـــن الخـــاطبين أمـــراً ألـــيم

(المصدر نفسه:٢٣٦)

وناقش الزّهاوي ايضاً في قضية الزواج تزويج البنات الصّغار من الشيوخ وردّ هذا العمل وإعتبره مشيناً للطرفين:

مـــا الشّـــيخ في عـــين الفتـــاة مهمـــا أطـــاب ســـوى قـــذاة

الشـــيخ يحتقـــر طبيعتـــه ان تـــزوّج بالفتـــاة

هـــو في تزوجّـــه بـــه يلقـــي الســـلامة في الاذاه

(المصدر نفسه:٢٥٤)

اذن وكما اسلفنا صار قاسم أمين مصدراً هاماً من المصادر الفكرية للزهاوي وان الزّهاوي بعد ذلك التاثير قد خلّف أشعاراً في بنودٍ خاصة للبحوث المختلفة حول المراة ومكانتها وحقوقها في المجتمع ويبدي الزّهاوي نفسه من المدافعين لحركةٍ ثوريةٍ تقلُب الموازين في المجتمع العربي - الاسلامي انذاك.

الزهاوي و آرائه المتجدده المتأثره من الخيام:

يعتبر إسم الخيام الايراني اسماً لامعاً في عصرنا الراهن فقد اشتهر عمر الخيام بفكره المتحرّر وآرائه المتجددة فعبر حدود اللغة الفارسية وصار مصدراً هاماً لمن يحب الحرية المطلقة الغير محددة بسبب العرق والدين والمذهب والحدود الجغرافية ففي عصرنا الراهن توسّعت الدراسات العلمية الغير محايدة للمذهب الفكري الخاص حول الفكر التحرّري الخيامي لأول مرة عند الغرب وعند فيتز جرالد(١٨٨٣-١٨٠٩م) بصورة خاصة فأسهم في تعرّف الغرب على الخيام ونظرته للعالم و ذلك عبر ترجمة رباعيات الخيام إلى الانكليزية

وطباعته هناك، والامر لم يكن بالسهل كما ذكرنا فالإقبال كان ضعيفاً على تلك التراجم الّا بعد وفاة فيتز فأمنيته لم تتحقّق الّا بعد موته وفي الجانب الآخر تعرّف العالم العربي على الخيام ايضاً عبر تلك التراجم فأقبل العرب أيضاً كل الإقبال للفكر الخيامي فعرّبوا الرباعيات وانطبعوا بها وقاموا ينشدون الرباعيات العربية على قرار رباعيات الخيام شكلاً ومضموناً (انظر؛بكار،١٣٨٣ش) فنجد إثنين و خمسين شاعراً عربياً بينهم اسماء كبيرة مثل أحمد الصافي النجفي وإسكندر معلوف وعبد القادر المازني ونور الدين مصطفى واحمد رامي وأحمد زكي أبو شادي ومحمد بن تاويت ومحمد الفراتي وغيرهم من الأدباء الذين إهتمّوا بكلام الخيام الداعي إلى التجديد ونبذ العصبيات الفارغة وطرد الاستبداد والكبت فوجد العرب هذا الفكر بمثابة الطريق الخلاص من حالهم المزري السّقيم الذي حصل إثر تناوب الحكومات الفاسدة المستبدة الغير مهتمة بحال الشعوب.

تعرّف الزّهاوي على الخيام ورباعياته لكن بصورة تختلف عن باقي الأدباء الذين ذكرناهم فالزّهاوي ينتمي إلى أُسرة كانت تجيد اللغة الفارسية بسبب العروق الايرانية لها فالزّهاوي تعلم الفارسية أيام طفولته حتى قيل انه اوّل من نظمه شعراً كان باللغة الفارسية(الديوان،١٩٧٩:ص د) فقرأ الرباعيات الخيامية من مصدره الام دون واسطة اخري و انبهر بكلام الخيام و تفكيره فعندما كان الزّهاوي قد أورث الاستبداد والظلم وتتابع الحكومات من الأتراك والانكليز والحكومات المحلية عندها اخذ الجوهرة الفكرية للخيام ووجدها عذبةً وإتّخذها طريقاً للخلاص مما يعانيه شعبه من المشاكل العديدة فتلائم وتفاعل معها وأخرج لنا الأفكار الخيامية بصورة جديدة تفيد عصرنا الراهن.

الزّهاوي ايضا قد اكتشف معني كلام الخيام وأحيي الفكر الخيام في آثاره ففي تلك الآثار نجد تقارباً شديداً له من الخيام في كيفية التحليل والنقد للظواهر الاجتماعية والمواضيع الفلسفية ويمكن ان ندرس تأثّر الزّهاوي من الخيام في بابين منفصلين، وهما اولا: "التأثّر الشكلي الظاهري السطحي" الذي طفا على السطح بتعريب رباعيات الخيام من الفارسية إلى العربية وذلك بصورتين النظم والنثر و الثاني: "التأثّر الجوهري المعنوي" في إيراد الأفكار الخيامية وآرائه المتجددة التي أسلفنا ذكرها في آثاره الأدبية وأشعاره خاصة فنحن ندرس البابين بصورة مختصرة في ما يلي من المقال.

الباب الأول والتأثّر الشكلي: نجد الزّهاوي من المُعجبين بالقالب الرباعي وذلك بعد

التعرف على رباعيات الخيام فهذا القالب كان قد عرف بسهولته في الوزن والشكل وصراحته في ايراد المعني والهدف والوصول للغايه من التأثّر في ذهن القاري وجعل الزّهاوي ديوانه الشعري الثاني الذي طبع سنة (١٩٢٤مـ) في بيروت في مطبعة قابوس لهذا القالب خاصة وجعل هذا الديوان يشمل المواضيع المختلفة من الحب واليأس والأخلاق والسياسة وغيره من المواضيع.

تأثّر الزّهاوي من الخيام ايضا بصورة شكلية في تعريب رباعياته من لغة الأُم إلى العربية و كما قلنا هو اول من جاء بهذا فكان يجيد الفارسية بسبب عروقه الايرانية فاختار الزّهاوي مئة وثلاثين رباعياً من بين الرباعيات الكثيرة المنسوبة إلى الخيام(بكار،١٣٨٣:ص٩٩) لأنه كان يعتقد أن هذه الرباعيات تناسب الحاله الشخصيه للخيام اكثر من باقي الرباعيات وعرّب تلك الرباعيات إلى العربية نظما ونثراً فكان يريد بذلك التعريف بأفكار الخيام وافياً وليس بصورة سطحية. طبع الزّهاوي عمله في مطبعة الفرات سنه (١٩٢٨مـ) وكان ينشره في مجلة "الحديث الجلية" قبل ذلك بصورة متناثرة وجعل الرباعيات في مواضيع مثل الخمر والفخار والموعظة وثناء الله والحب وغيره مثل هذا الرباعي:

كان ليلٌ قبلنا ونهار ونجومٌ تلجّ بالدوران

رب ارضٍ وطئتها هي كانت عين حسناءٍ في قديم الزمان

الذي اعربها نثرا بهذه الصورة: كان قبلي وقبلك ليل ونهار، وكان الفلك يجري إلى غاية، خفّف الوط ء على هذه الارض، فقد كان ما تطاءه انسان عين حسناء. (المصدر نفسه، ص١٠٤)

الباب الثاني والتأثّر الجوهري: تأثّر الزّهاوي من الخيام الايراني الذي كان يتابع فلسفة المشائيين وعلى راسهم ابو على سينا فالخيام فيلسوفٌ مشائي بتسامح صاحب رسائل فلسفية مثل رسالة "الكون و التكليف" ودافع فيها من الفلسفة المشائية تماماً (جعفري،١٣٧٣:ص٥٦) اما للخيام كما قلنا رباعيات لا تناسب الشخصية الفلسفية له فكان يدعو إلى الياس واللجوء إلى الخمر والزندقة على الظاهر لكن في الحقيقه ما هذا الا الانطباعة الأولى من الرباعيات فمن يدرس تلك الرباعيات بتمعن و إكثار يعرف مغزي كلام الخيام و هو دعوة إلى صناعة نوع جديد من الحياة و الحرية من قيود المذاهب المختلفة التي كانت بمثابة السم لذلك المجتمع الذي كان قد يعيش فيه الخيام و في الجانب الآخر

الزّهاوي من بين الذين عرف فحوي كلام الخيام و انبهر في الخيام و تأثّر منه في آثاره الشعرية و أدخل الأفكار الخياميه في بنود مشهودة ناتي بها في ما يلي:

البند الاول: الحيرة حول الحياة و فلسفته: حيث يقول الخيام متحيراً من امر الحياة و لميته

دوري كــه در آن آمــدن و رفــتن ماســت　　آن را نــه ابــديت نــه نهايــت پيداســت

كــس مــي نزنــد در ايــن معــنى راســت　　كــاين آمــدن ورفــتن بــه كجاســت

(الدشتي،١٣٥٦:ص٢٧١)

الترجمة:هذا الدور الذي فيه ايابنا و ذهابنا ليس له بدايه و لا نهايه، لم يصدُق أحد في هذا الامر ابدا ان من اين اتينا و إلى اين نذهب.

فسمع الزّهاوي هذا الكلام و عرف المراد منه،أن الانسان عليه أن يكشف بنفسه فلسفة حياته و لمية وجوده و لا يتكل على راي الاخرين فقال بجرأة:

ليــــتني عــــارف لمــــاذا حيينــــا　　ولمــــاذا مــــن بعــــد حــــين نــــزول

قيــــل لي لا تقــــل فكــــان جــــوابي　　انــــا ان لم اقــــل فمــــن ذا يقــــل

(الديوان،١٩٧٦:ص٤٥)

فالزّهاوي ايضا يعبّر عن حيرته كما عبر الخيام سابقا إزاء فلسفه الحياة فاشتركا الاثنان في هذا المحور الاساسي و ظهر هذا في أشعارهم.

البند الثاني: مكانه الخالق عند الخيام و الزّهاوي: يمتلك الخيام نظرة خاصة جريئة حول ربه و يعرضها في رباعياته جريئا دون اكتراث و هي التساول الدائم حول افعاله و كيفيتها فهو في تعجب دائم منها:

دارنــده چــو تركيــب طبــايع آراســت　　بــاز از چــه فكنــدش در كــم وكاســت

گـر نيـك آمـد شكسـتن از بهـر چـه بـود　　ور نيـك نيامـد ايـن صـور عيـب كراسـت

(الدشتي،١٣٥٦:ص٢٧١)

الترجمة: إذا أحسن الخالق في تركيب الخلق فلماذا جعل فيه النقص،اذ كان خلقه جيداً لماذا كسره ببعض النقوص و اذ كان غير جيدٍ فلمن هذا الخلق.

فسأل الخيام بصراحة حول أفعال الخالق و لميته و تلقّي من معاصريه ردوداً إتهم بعدها بالزندقة و الإلحاد ظلماً والحقيقة أنّه أراد غير ذلك، فالخيام بمثل هكذا اسئله يظهرعدم الإقناع بالمستدلات المطروحة من قبل المتشرّعين فقط و أنّه على الانسان أن يسال نفسه ويتحرّك نحو جوابٍ مقنعٍ يرضي وجدانه فسمع الزّهاوي الرباعي و مثله من الرباعيات فتسائل عن خالقه و مكانته عند الناس:

لما جهلت من الطبيعه امرها ... وأقمت نفسك مقام معلّل

أثبتّ رباً تبتغي حلا به ... للمشكلات فكان أكبر مشكل

(الرشودي،١٩٦٢:ص٢٣٢)

فيقترب الزّهاوي ايضاً في هذا المحور الفكري حول خالقه من الخيام فنجد حيزاً كبيراً من أشعاره يختص بهذا المحور و تبيين فكرته التي لا تكن بالثابتة فالزّهاوي صاحب الآراء المختلفه و المتباينة في هذا المحور فيغير فكرته و رأيه أو بالأحري يندم على ما يقول بعض الاحيان.

البند الرابع: المعاد و كيفيته:من أكثر النقاط الفكرية سخوناً عند الخيام بعد رأيه المتشكك و المتسائل حول الخالق هي فكرته حول المعاد و البعث بعد الموت فالخيام يعتقد بعدم ذلك ظاهراً بالقرائة السطحية لرباعياته:

يك قطره آب بود وبا دريا شد ... يك ذره خاك با زمين يكجا شد

آمد شدن تو اندرين عالم چيست ... آمد مگسي پديد وناپيدا شد

(الدشتي،١٣٥٦:ص٣٤٧)

الترجمة:كانت قطرة وحيدة مُزجت مع البحر ذرة كانت صارت مع الارض، ما هو السبب من اتيانك في العالم اتت ذبابة ثم اختفت.

الفكرة قد تحمل نوعاً ما من الالحاد لانّه قد يروّج فكرة عدم البعث عند الماديين اما بعد التحقيق حول شخصية الخيام ومكتبه الفلسفي القويم وآثاره وألقابه قد يردُّ هذا الاتهام حتماً اما في الدفاع عن مثل هكذا رباعيات، إن الراي الأرجح هو أن الخيام أراد من الانسان إنتهاز فرصة الحياة القصيرة و النيل منها حتى لا تذهب هباءاً منثوراً و الفائدة الأُخري المستفادة من هكذا كلام الابتعاد عن الكبر و الغرور لان من يري الفناء أمامه يبتعد

عن التفاخر و يسعي في إستعمال وقته القصير، فالزّهاوي ايضاً قد يظهر لنا نوع من الاعتقاد بفكرة عدم البعث و الاكتفاء بالحياة المادية بالتسامح

هيهات ليس لمن به تودّي المنية من حياة
إلّا اذا أتت القيامة وهي يوماً سوف تأتي

(الديوان، ١٩٦٧:ص٦٩)

البند الرابع: العقل الانساني و قيمته في معرفة الانسان: الحقيقة ان العقل البشري قد شغل المفكرين كثيرا فمنهم رده و منهم من جعل له السيادة في المعرفه فالخيام والزّهاوي ايضا كانوا ممن إدّعي بقيمة العقل في هداية الانسان إلى حد ما كما قال الخيام:

بر چشم تو عالم از چه مي آرايند مگراي بدان كه عاقلان نگرايند
بسيار چو روند و بسيار آيند برباي نصيب خود كه ات برباينـد

(الدشتي، ١٣٥٦: ص٢٨٦)

لا يمكن للعقل ان يومن الانسان كاملا فالزّهاوي ايضا بهذا الخطى كاملا فكانه اراد ان يعرب تلك الرباعي فقال:

ما زال هذا الكون سراً طاوياً في نفسه حقيقةً لم تُفهم
العاقل يخبط سبيله في جوف ليلٍ للعماية مُظلم

(الديوان، ١٩٦٧:ص٤١)

البند الخامس: الجبر والاختيار: كان الجبر في الميلاد والرحيل يشغل بال الناس كثيراً فترضي الناس العوام بما قُدّر لها أما العظماء من المفكرين كانوا يشكون هذه الظاهرة ويلومون ويتسائلون فيها كالخيام الذي ابدي رأيه في كثير من الرباعيات ولام منها

گر آمدنم بخود بدي نامدمي ور نيز شدن بمن بدي كي شدمي
به زان نبدي كه اندرين دير خراب نه آمدمي نه شدمي نه بدمي

(الدشتي،١٣٥٦:ص٢٩٧)

الترجمة:اذا كان إتياني إلى الدنيا بيدي ما أتيت و اذا كان ذهابي منها ما ذهبت، والاحسن أني لم آت ولم أكن ولم أذهب من هذا الدير المهدوم.

فالانسان في رايه مُجبراً على هذه الامور من الاتيان والحياة والموت فهي عيشه جبريه لا اختياريه مطلقاً.

وفي الجانب الاخر وجد الزّهاوي هذا الاكلام عذبا سائقا يرضي ضميره وكما قلنا كأنه يعرّب تلك الرباعيات و الآراء حيث يقول:

أتـــى غـــير مختـــارٍ وفـــارق مضـــطراً ولم يـــك لمـــا عـــاش في نفســـه حـــراً

(الديوان،١٩٦٧:ص٤٤)

فالحالة الكلية للحياة عند الزّهاوي تؤدي إلى الإجبار فأين الحرية في ذلك:

مـــا جئـــت أســـتبق الحيـــاة مســـارعا لـــو كـــان لي قبـــل المجيـــئ خيـــار

أن عـــاش إنســـان تعـــش أوطـــاره او مـــات يومـــا ماتـــت الأوطـــار

(المصدرنفسه:٤٣)

إذن الزّهاوي وجد في الخيام وفكرته التحررية ضالته وشاركه في تلك الفكرة ونقلها إلى شعبه آملا أن يصنع مجتمعاً حراً لا تحددّه القيود الموروثة من الماضي.

الزّهاوي ومعارضته المعرّي: تطلّع شعراء الإحياء على آثار القدماء وانشدّوا بالماضي العربي انشدادا وأُعجبوا بقولهم وحرصوا على تقفّي اثرهم فعلى سبيل المثال نجد البارودي وهو زعيم الاتجاه الاحيائي يقول:

تكلمـــت كالماضـــين قبلـــي بمـــا جـــرت بـــه عـــادة الإنســـان أن يتكلمـــا

(الساعدي،١٤٢٠هـ:ص٣٥)

فنجد المعرّي و المتنبي و طرفة ابن العبد من أهمّ الشعراء الحاضرين في النّصوص الأدبية المعاصرة و من أهم مصادر الايحاء عند الاحيائيين (نجفي،١٣٩٣ش:صـ٣٣).

دخل الزّهاوي ايضا هذا المضمار بعد ما إنبهر في المعرّي و تأثّر به في شعره كثيراً و لكن نري هذا التأثّر بصورة اكثر وضوحاً في "رسالة الغفران" التي كان لها صيتاً واسعاً في الميادين الأدبية و عارضها في قصيدته المسماة "ثورة في الجحيم" و كتبها في ٤٣٥ بيتا و في السبعين من عمره على وزن و قافيه واحده فهي عباره عن ملحمه خياليه فلسفيه اجتماعيه يعرض فيها

رويته للحياة و للناس و معتقداتهم على طريقة المعرّي و تحكي عن حرب خيالي بين اهل االنار الثائرين على اهل الجنة و الملائكة فرُفع الامربعد نشر هذه الملحمة إلى الملك فيصل الاول الذي استدعي الزّهاوي و لامه و طلب منه الاعتذار فرد الزّهاوي: ما ذا أفعل عجزت عن إضرام الثورة في الارض فأضرمتها في السّماء(الديوان،١٩٧٩م:صـ ب).

أما رسالة الغفران فهي من أجمل آثار المعرّي في النثر كتبها في عهد عزلته سنة ٤٢٣ في مدينة معرة النعمان ببلاد الشام و هي رسالة جوابية طويلة جدا ردا على رسالة ابن القارح الذي ساله عدة مسائل وسبب تسميتها برسالة الغفران السؤال الذي يطرحه على كل واحد من الشعراء و الأدباء المغفور لهم:بم غفر لك؟ او بسبب كثرة ما يردّ فيها من ذكر الغفران و مشتقاته.قال عمر فروخ عنها ((ان دانتي اخذ فكره كتاب الكوميديا الالهيه من أبي العلاء(خديوجم،١٣٨١شـ:ص١٠٥). فرسالة الغفران من اكبر كتب التراث العربي وأجمل مولفات ابي العلاء وهي رسالة ذات طابع روائي حيث جعل المعرّي من ابن القارح بطلاً لرحلة خيالية ادبية عجيبة يحاور فيها الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الاخر وقد بداها المعرّي بمقدمة وصف فيها رسالة ابن القارح واثرها الطيب في نفسه فهي كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء (المعرّي،٢٠١٢مـ:ص٣١) ناظرا بذلك إلى ما ورد في القرآن الكريم: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾(ابراهيم/٢٤)

ثم يسترسل المعري بخياله الجامح إلى بلوغ ابن القارح إلى السماء العليا بفضل كلماته الطيبة التي رفعته إلى الجنة فوصف حال ابن القارح هناك مع ذكر الشواهد القرانية و ابيات شعرية يصف فيها نعيم الجنة:

"قد غُرس لمولاي الشيخ الجليل إن شاء الله بذلك الثّناء شجرٌ في الجنة لذيذ الإجتناء كل شجرة منه تاخذ ما بين المشرق والمغرب بظلٍ غاطٍ ليست في الأعين كذات أنواط" (المعرّي،٢٠١٢:ص٢٤).

فتحسب هذه المحاورات التي يجريها ابن القارح مع الشعراء والأدباء واللغويين في العالم الآخر والتي تخيلها المعرّي من أهم المصادر لدراسة النقد الأدبي العربي القديم لانها تشكل مباحث نقدية هامة و جذرية في النقد الأدبي العربي.فخلق ابو العلاء للنيل من هدفه

من خلال هذه الرسالة نوعاً ادبياً جديداً قائماً على السرد يتضمّن الوصف و الحوار كما يتضمّن شخصية رئيسية تتحرّك و تتصرّف جنب شخصياتٍ فرعية لتخلق عملاً متكاملاً له بداية و نهاية و يتضمّن آليات السّرد و القصّ و إسترجاع و يستعين بشخصياتٍ متنوعةٍ من جنٍ وإنسٍ وحيوانٍ تحضر في المحشر أو الجنة أو النار(عرفت،١٤٣٤ق:ص٥٢).

أما بالرجوع إلى الزّهاوي وعمله الرائع في الثورة في الجحيم اننا نري التأثّر الواضح الجلي من رسالة الغفران فالفكرة الكلية والنظره إلى هكذا اعمال قد جعلت من قبل والزّهاوي بفكرته الخلاقة المتجددة والتنويع الجميل الضافي قد صنع ملحمه جديده على قالب رسالة الغفران فيقول عنها الاستاد كمال ابراهيم ((هذه الملحمه وان كانت تلتقي في بعض خطوطها وملامحها وما وضع على غرارها من قبل الّا إنها تتميز بشخصية مستقلة في كثير من عناصرها وضروب خيالها وحواراتها)) (الزّهاوي،١٩٦٢:ص٣٨١)).

تبدا رحله الزّهاوي في هذه القصيده من لحظه ايداعه في القبر:

بعد إن متُّ وإحتواني الحفير ... جاءني منكرٌ وجاء نكير

ملكان إستطاعا الظهور ولا أدري ... لماذا وكيف كان الظهور

(الديوان،١٩٧٩:ص٧١٥)

فكما نرى تشكيله الثورة في الجحيم بالصوره الكلية تبدا من الموت والسفر الذي قد يطويه الميت وقد تدور حول الاوصاف للعالم الذي قد يواجهه الميت بعد موته وهذا ما قد وصفه المعرّي في رسالة الغفران آنفاً فتقفّي الزّهاوي أثر المعرّي في سرد هذه الملحمة وإهتمّ بهذا النوع الخاص الشعري الذي يتكفّل بتوضيح عاقبة الانسان ومواصفات الحياة بعد الموت.

ثم يستمر الزّهاوي في وصف الحالات في القبر من باقي الاسئله المطروحة على الميت ووصف الصراط ووصف الجن والملائكة المقربين وهكذا اشياء التي تذكرنا برسالة الغفران اكثر و الانطباع الذي حصل للزهاوي فيها:

لم يربني امر الصراط مقاما ... فوق واد من الجحيم يفور

غيراني اجل ربك مقاما ... من اتين ما ياباه الحجي والضمير

(المصدر نفسه:٧١٩)

بعدها يحتدّ الحوار بينهما اثر الاسئلة المتتالية التي ازعجت الميت و يعبر الميت عن غضبه و احتجاجه من هذه الاسئلة السخيفة في اعتقاده و يعبر عن مله هكذا

انما قد سالتماني عن أمور ... هي ليست تغني و ليست تضير

ولماذا لم تسالا عن ضميري ... والفتى من يعف منه الضمير

ولماذا لم تسالا عن جهادي ... في سبيل الحقوق وهو شهير

(المصدر نفسه:٧٢٣)

أما هذه الجنة المذكورة اوصافها هي ليست للميت فقد جيئ به اليها كي يري الفرق بينها و جهنم حيث لا شيئ مما راي و بانتهاء زيارة الجنة يتوجه الركب إلى جهنم حيث يتعرف فيها الميت المحكوم على عاقبة امره والعجب مما يراه في جهنم من شخصيات مختلفه والاحداث التي تجري عليه في ما بعد فيري ليلي التي تلاقي مصيره من العذاب والعظام الكبار مثل الفرزدق والخيام ودانتي وجرير والمتنبي وغيرهم من اصحاب العقول ومن المبدعين وحتى المعرّي الذي شغل بال الزّهاوي قد ينتهي به المصير في جهنم ولكل منهم مصير و حكايه للحضور في النار فليلي لإنكار جهنم:

كنت امشي فصادفت ليلي ... بين أتراب كالجمان تسير

فوق جمر يشوي ونار تلظي ... وأفاع في نابهن شرور

قلت ماذا جنيت في الارض حتى ... كان حتما عليك هذا المصير

فاجابت قد كان لي وسميرا ... قبل ان نردي للجحيم نكور

(المصدر نفسه:٧٣٠)

وذكر الكبار الداخلين النار يدخل الزّهاوي القصيدة في مرحلة جديدة وهي مرحلة الثورة والانقلاب فالشعراء والفلاسفة والعلماء بعد ان طاب لقاوهم وتباحثوا في شؤون النهاية السيئة الذي آلت اليه الاوضاع تبادلوا الآراء والمقترحات لايجاد حل يريحهم من عذاب النار فخرج منهم حكيم اخترع آلات عديدة وعتاداً حربياً وآله تطفي نار السعير:

مكثوا حتى جاء منهم حكيم ... باختراع لم تنتظره الدهور

آله تطفئ السعير اذا شاء ... فلا تحرق الجسوم السعير

(المصدر نفسه:٧٣٤)

والمعرّي قد يقود المسيرة و يردد الجماهير خلفه بحماس وجراة:

المعـرّي: غصـبوا حقكـم فيـا قـوم ثـوروا ... ان غصـــب الحقـــوق ظلـــم كـــبير

الثـائرون: غصـبوا حقنـا ولم ينصـفونا ... إنمـــا نحـــن للحقـــوق نثـــور

(المصدر نفسه:٧٣٦)

فالملائكة قد تدعم الزبانية في هذه الثورة لكن لا جدوى فالنصر لاهل النار بعد حرب ضروس قد عاضد الشيطان وجيشه انصاره من اهل السعير:

ولقـــد أســـرعت زبانيـــة النـــار ... إلـــيهم وكلـــهم مـــذعور

يـــا لهـــا في الجحـــيم حربـــاً ضروســـاً ... مـــا لهـــا في الحـــروب نظـــير

ثم جائتـــهم الشـــياطين انصـــارا ... ومـــا جـــيش المـــاردين حقـــير

(المصدر نفسه:٧٣٧)

فالنصر يكتمل بدحر الملائكة من النار وبدخول الجنة وطرد الساكنين فيها واحتلالها:

ثم طـــاروا علـــى ظهـــور الشـــياطين ... خفافـــا كمـــا تطـــير النســـور

يطلبـــون الجنـــان حـــتى اذا مـــا ... بلغوهـــا جـــري نضـــال قصـــير

ثم فـــازوا بهـــا وقـــاموا بمـــا ... يوجبـــه النصـــر والنـــهي والتـــدبير

(المصدر نفسه:٧٣٩)

نعم بهذه الصورة تنتهي ثورة اهل الجحيم التي قلبت القوانين كاملة وهي التي تكلّم عبرها الزّهاوي بصورة جديدة خارقة للرسوم والآداب المعمولة وهي عبارة عن ثورة وقفت ضد الاستبداد والكبت والاضطهاد الاجتماعي، فقال أمين الريحاني عنها ((ان للزهاوي آثارا شعريه نفيسه وانفسها في نظري واحقها بطول البقاء قصيدته او ملحمته الصغيرة ثورة في الجحيم فانه وان إقتفي فيها اثر شاعرين عربي وغربي دانته والمعرّي ليقف في التقليد عند الفكرة الاصلية الأولى في زيارة الجحيم والنار)) (الزّهاوي، ١٩٦٢: ص٢٧٠).

ومن السمات المشتركة التي اخذها الزّهاوي من رسالة الغفران اولا: الفكرة ودخوله للبحث باختيار الجنة والنار لان هذا قد يشكل الحيز الكبير من الفكر الانساني الذي لطالما

شغل باله ففكر وتحدث عنه كثيرا و ثانياً: هو الاوصاف الكثيرة الجذابة التي تجعل الانسان قد يعيش لحظات من عمره وكانه قد يري الجنة و النار و احداثه امامه بصورة مباشرة فالاثنان بارعون في خلق هكذا اجواء و لو ان الزّهاوي قد يمتلك ذهنا مصورا اكثر و المعرّي قد يصنع تصاويره مستعيناً بالأحاديث و الآيات اكثر،و ثالثاً: ذكر العظماء و الكبار بدور الشخصيات الاصليه قد يطلي هذين القصيدتين بلون قد يشعره الفرد بصوره احسن و الزّهاوي قد يمتاز بذكر الشخصيات الغير عربية و غير اسلامية.

الخاتمة:

تبين الزّهاوي بانّه اول من تأثّر بداروين في العراق و أدخل أفكاره حول أصل الانسان والغرائز البشرية و التكامل و غيره من الأفكار في أشعاره و في بندين: الاول الاشعار التي بين فيها أن الانسان ذو صلة كبيرة مع القرد و إختلف مع داروين في هذا البند كما قلنا لانّ داروين كان يعتقد بقرابة اصول الانسان و القرد و الزهاوي اظهر في اشعاره اعتقاده باصل الانسان القردي فقط. الثاني: إعتقد داروين بأنّ الكون بأجمعه ساحة للصراع بين مكنوناته والحظ ألأوفي للقوي من يحفظ سلالته من الفناء في العيش وهي نظرية معقّدة طويلة فتعرف الزهاوي ايضاً على تلك النظرية وإعتقد بها كل الاعتقاد وأنشد أشعاراً خاصةً بهذا الباب.

تعرف الزّهاوي على آراء قاسم أمين حول النساء عبر كتبه مثل "حرية المراة" و"المراة الجديدة"فشملت أشعارالزهاوي المتاثرة بآراء قاسم أمين بنوداً شملت بعض ما أُبتليت به المراة العراقية آنذاك مثل، الاول: لزوم إعطاء المراة حقوقها و الحرية لها، الثاني: نبذ الحجاب و الدعوة إلى السفور، الثالث:قضية الزواج و الحرية للمراة في إختيار الزوج وقضية زواج البنات الصغار من الشيوخ.فقصد الزهاوي بتلك الآراء تعديل مكانة المراة في مجتمه للنيل من الرُّقي.

تعلّم الزّهاوي اللغه الفارسية في حجر عائلة تنتمي إلى أُصول إيرانية و صار ذلك دافعاً للزهاوي للدخول في رياض الأدباء الايرانيين و من بينهم إختار الخيام الذي يمتلك تلك الأفكار التحررية و التي نالت اهتماماً خاصاً من المفكرين فإقتفي الزّهاوي أثر الخيام بعد ما تأثّر منه و انشد الرباعيات على قرار رباعيات الخيام شكلا و مضمونا و أدخل تلك الأفكار المتحرره التي لا تنحصر في زمان و مكان في عدة بنود حول الحياة و الموت و البعث و

النشور و العقل البشري و غيرها من الامور العالقة في ذهن الانسان. فالقسم الذي يختص بتأثّره من الخيام قد يشغل الحيز الكبير من أشعاره في شتي مجالات التاملات الفلسفية درسنا تأسّي الزهاوي من الخيام في بابين منفصلين، و هما التاثّر الشكلي في إنشاد الرباعيات العربية على قرار رباعيات الخيام الفارسية و تاثّر الزهاوي من الخيام في إدخال فكرة الخيام بصورة كليه و هي الدعوة إلى التحرر و نبذ العصبيات الفارغة و الدعوة إلى عدم التفرّد بالرأي و ايضا بعض البحوث الفلسفية.

أطلق الزّهاوي عند نهايات عمره السهم الخلاص في مسيرته لتحرير مجتمعه من ماضيه بإدخال فكرة المعرّي في رسالة الغفران بقصيدته ثورة في الجحيم ان المعرّي مصدر للإلهام عند الزّهاوي و غيره من المفكرين المعاصرين فأقبلوا عليه لنقاء فكرته و نصحه في هدايته للبشر نحو الخلاص فالزّهاوي ايضا أحب فكرة المعرّي و تكلّم في قصيدته بصورة جديدة غير المعهودة و التي اثارت المعارضات الشديدة لانه قلب الموازين في عصر اورث الاستبداد و التحجر من ماضيه و في النهاية نجد الزّهاوي متطلعاً على العالم الخارجي من الفكر و الأدب الغربي و الفارسي و العربي فراح يفضّل الجديد من الراي بغرض إبعاد شعبه من نكبة التخلّف و كان يمتلك القدرة الكبيرة على إدخال الآراء و الأفكار الجديدة بطابع فلسفي – علمي في أشعاره و يترائي لنا شاعراً من أعظم شعراء الأدب العربي المعاصر و كل هذه الأوصاف تجعله غير قادرٍ على إمتلاك مكتب فكري واضح فهو شاعر أحب التفكر الفلسفي و أدخل ذلك التفكر في شعره كثيراً.

Abstract:-

This period to be different for all periods in state of reaching to sources and origin from method and this is on of all advantage and result of revival so start with printing-press and libraries and magazine so made level and paved to every one to know for opinions and views of reminders then the scholar to be affected of new style life and they are effort to bring to life the Arabic literature like zahhawi(1863-1936) the "poet of iraq" so he is the subject of our

study and he gain advantage from the civilizations and litrartiores of Arabic and Persian and western and torkish and he leave actions show this impression so we discovered branchely opinions it is possible that surrounding in his traces affected by western scolar like Darwin(1856-1939) in evolution and Arabic scolar lik ghasim amin(1865-1908) over the women and he have influence from other people suche as abolala al maary(973-1058) in pessimism and he effected much more by omar Khayyam(1001-?) in all over we discovered for zahhawi type of perplexity arising by his much roots opinions and we attempt to discovery all that in this worke.

Key words :**zahhawi roots opinion.darwin - ghasem amin - abolala al maary - khayyam.**

قائمة المصادر والمراجع

وخير مانفتتح به القران الكريم

- بكار، حسين،رباعيات خيام در ضيافت شعر عربي؛ طهران:الترجمة لهادي خديور بور،منشورات جامعة طهران،الطبعة الثالثة(١٣٨٣ش).
- الجعفري،محمد تقي،تحليل شخصيت خيام؛طهران؛منشورات كيهان؛الطبعة الثانية،(١٣٧٢ش)
- الدشتي،على،دمي با خيام؛طهران،مطبعة سبهر؛الطبعة الثالثة،(١٣٥٦ش)
- الرشودي،عبدالحميد،الزهاوي دراسات و نصوص؛بيروت:دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية،(١٩٦٢م)
- الزهاوي،جميل صدقي،ديوان النهضة؛بيروت،دار العلم للملايين،الطبعة الأولى،(١٩٨٣م)
- الزهاوي،جميل صدقي،الاعمال الكلية؛بيروت،دارالعودة،الطبعة الثانية(١٩٧٩م)
- الزهاوي،جميل صدقي(١٩٢٨م)،ديوان اللباب؛بغداد،الطبعة الأولى،(١٩٢٨م)
- زينة،عرفت بورصورة المكان في رسالة الغفران؛آفاق الحضارة الاسلاميةآكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية،العدد الثاني الخريف و الشتاء،السنة الخامسة عشرة(١٤٣٤ق)
- الساعدي،حاتم،اتجاهات الشعر العربي الحديث؛قم،منشورات ستاره،الطبعة الثالثة،(١٤٢٠ق)
- فروخ،عمر،عقايد فلسفي ابو العلاء:الترجمة لحسين خديو جم،منشورات علمي فرهنكي(١٣٨١ش)

- كوامن، ديفيد، داروين مترددا؛ القاهرة موسسة كلمات العربية للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، مراجعة مصطفى ابراهيم فهمي ترجمة محمد فتحي حضر، (٢٠١٢م)
- المعري،ابوالعلاء،رسالة الغفران؛دار المعارف القاهرة، الطبعه التاسعة (١٩٧٩م)
- المعري، ابو العلاء،رسالة الغفران؛ موسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة،تحقيق و شرح عائشة عبد الرحمن(٢٠٠٣م)
- نجفي،راحلة،بينامتني شخصيت معري در شعر فارسي؛بزوهشنامة نقد ادبي و بلاغت،السنة الثالثة،الرقم الاول(١٣٩٣ش)
- نيازي، شهريار، زن در شعر جميل صدقي الزهاوي: مجلة بزوهش زنان، السنة الخامسة(١٣٨٦ش)